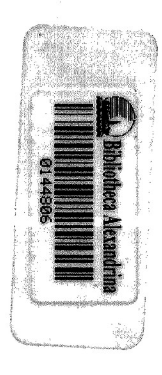
كتاب التذكرة الهروية

في الحيل الحربية

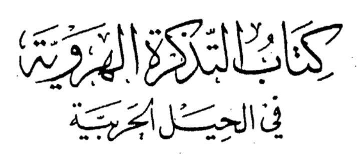
تأليف

علي بن أبي بكر الهروي



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بور سعيد - الظاهر
ت : ٩٢٢٦٢٠ - ٩٣٦٢٧٧

كتاب التذكرة الهروية
في الحيل الحربية



تأليف

علي بن أبي بكر الهروي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر
ت : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

مكتبة الثقافة الدينية

لصاحبها : أحمد أنس عبد المجيد

الإدارة والمركز الرئيسى : ٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر

فـــرع : ١٤ ميــدان العتبـــة

تليفون : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم [2b]

قال العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربّه المستغفر من ذنبه عليّ بن أبي بكر الهرويّ غفر الله له ولجميع المسلمين .

الحمد لله الّذي أسدل ظلال نعمه وأسبل سجال كرمه فبحوله يستريح الطالب وبطوله تستنجح ‖ المطالب وصلّى الله على نبيّه المبعوث إلى الداني والقاصي والطائع [3a]
والعاصي وعلى آله الكرام وصحابته الأعلام هداة الأنام وأئمّة الإسلام ما أبرق غمام وأورق ثمام .

وبعد فإنّه لمّا سألني الأخ الصالح والخِلّ الناصح أن أصنّف له كتابًا وأبوّبه
ابًا ‖ وأذكر فيه ما يجب على ولاة البلاد وهداة العباد كالخلفاء الراشدين والملوك [3b]
والسلاطين من أمر سياسة الرعيّة وإصلاح أمور البريّة وما يعتمدونه في الحروب
وما يعتدّونه لكشف الكروب وما يذّخرونه لرفع المشكلات ودفع المعضلات ‖ ومـا [4a]
يرجى به دوام دولتهم وبقاء مملكتهم وحسن سيرتهم وإصلاح سريرتهم وحفظ بلادهم من عدوّ يقصدهم ومعاند يعاندهم وحاسد يحسدهم وتحصين قلاعهم وعمارة بقاعهم ومدنهم وضياعهم والطريق إلى الذكر الّذي ينمي ويزيد ولا يفنى ولا يبيد

[4b] وهو في كلّ يوم جديد ‖ فأجبتُه إلى ما سألني فيه بمختصر يكفيه وقد أثبتُّ له في هذا الكتاب ما يستظهر به على من عاداه ويستنصر به على من ناواه ووسمتُه[a] بالتذكرة الهرويّة في الحيل الحربيّة وهو أربعة وعشرون بابًا :

الباب الاوّل فيما يجب على السلطان استعماله
الباب الثاني في صفة الوزراء ‖
[5a] الباب الثالث في صفة الحجّاب
الباب الرابع في صفة الولاة
الباب الخامس في أمر القضاة
الباب السادس في أمر العمّال وأرباب الديوان[b]
الباب السابع في من يجالس السلطان
الباب الثامن في كشف بواطن أرباب الدولة
[5b] الباب التاسع ‖ في المشورة
الباب العاشر في صفة الرسول الذي يرسله
الباب الحادي عشر في صفة الرسول الّذي يأتيه والحيلة في ذلك[c]
الباب الثاني عشر في حال الجواسيس وأصحاب الأخبار
الباب الثالث عشر في جمع المال والذخائر وآلة الحرب واستمالة قلوب الرجال الحربيّة ‖
[6a] الباب الرابع عشر في لقاء العدوّ وصفة المنازل ومكائد الحرب
الباب الخامس عشر في كتمان السرّ
الباب السادس عشر في إنفاذ[d] السريّة
الباب السابع عشر في التيقّظ والاحتراس من العدوّ[e]
الباب الثامن عشر في اتّباع الحقّ في المقاصد

---

a. وسمته : ووسمته K N.
b. الديوان وقضاياهم : الديوان add. K.
c. في ذلك : om. N.
d. إيجاد : إنفاذ N.
e. من العدوّ : om. N.

الباب التاسع عشر ‖ في تحريض الرّجال على الحرب [6b]

الباب العشرون في ضرب المصافّ ومكائد الحرب

الباب الحادي والعشرون في قتال الحصون وحصارها ومكائد ذلك والحيلة فيه[a]

الباب الثاني والعشرون في استعمال الحلم بعد القدرة[b] والمثابرة على الذكر الجميل

الباب الثالث والعشرون ‖ في الحيلة إذا حاصره عدوّه والعمل في ذلك [7a]

الباب الرابع والعشرون في العمل بالحزم إذا عدم النصرة وضاقت حيله .

وأسأل الصفح والتجاوز ممّن ينظر فيه ويقف على سرّ معانيه وإن أدّى تصفّحه إلى صواب نشره أو إلى خطاء ستره فإنّ الإنسان لا يخلو من الخلل ولا ينجو من الزلل ولا بدّ للجواد ‖ من كبوة وللحسام من نبوة بل من طبع أرباب [7b] الحسد وأهل العناد والنكد[c] ستر محاسن من حسدوه وفضائل من عاندوه .

فأقول وبالله التوفيق وهو نعم الرفيق .

الباب الأوّل
في ما يجب على السلطان معرفته

أوّل ما يجب على الملك أن يعرف قدر ما أنعم الله به عليه ‖ ووصل من [8a] إحسانه إليه وليعلم أنّ أعظم النعم وأعلاها وأكرمها وأغلاها نعمة تشتمل على مصالح الإسلام والمسلمين وعمارة ثغور الموحّدين والنظر في أمور الرعيّة وانتظام قوانين البريّة وذلك منوط بعبد يختاره الله عزّ وجلّ من عباده ويمكّنه في بلاده ويودع فيه سرّه ويعضده أمره ‖ ليرفع المظالم ويقمع الظالم ويعين الملهوف ويصطنع [8b]

---

a. ومكائد ذلك والحيلة فيه : dépl. NE au titre suivant.
b. القدرة dep. الباب : om. K.
c. والنكد : والنكر A.

المعروف ويجبر الكسير ويطلق الأسير وينصف المظلوم من الظالم ويميّز الجاهل من العالم ويشمّر عن ساق اجتهاده في حماية بيضة الإسلام وانتظام أمور الأنام
[9a] فإذا عرف ذلك وفهمه وتدبّره وعلمه فيجب عليه أن يقابل نعم الله تع ‖ بالشكر والطاعة والإحسان إلى الرعيّة ونشر العدل وكفّ الظلم والجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الله وإحياء سنّة رسول الله صلعم فاذا فعل ذلك أبقى الله عليه ما أعطاه وكان له حافظًا ممّن عاداه وأعانه في الشدائد وتولّاه ‖
[9b] وذلك من فضل الله .

وليعلم أنّ بالعدل ثبات الأمور وبالجور زوالها وأسعد الملوك من بقي بالخير ذكره واستمدّ به من يأتي من بعده .

قيل إنّ كسرى أنوشروان قال لوزيره بزرجمهر : «إبن إليّ قبّةً واكتب على
[10a] طرازها ما انتفع به في بقاء الدولة ودوام المملكة» فبنى له ‖ قبّةً وكتب على طرازها : «العالم بستان وسياجه الدولة والدولة ولاية أسّتها الملك والملك راعٍ يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعيّة والرعيّة عبيد يستعبدهم العدل والعدل مألوف به قوام العالم» .

[10b] وليعلم أنّ إصلاح الرعيّة خير من كثرة الجنود ‖ وأنّ الأعمال لها جزاء فليتّق[a] العواقب وأنّ القصاص حقّ لا محيد عنه وأنّ الله يسأله عن كلّ كبيرة وصغيرة وعمّا تقلّده من أعمال بلاده وأحوال عباده . قال رسول الله صلعم : «كلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسؤول عن رعيّته» . فاعلم أنّ القلب راعٍ والجوارح رعيّته والسلطان ‖
[11a] راعٍ والعباد رعيّته . وليحذر دعوة المظلوم فإنّ لها إجابة وهي عند الله بمكان وليُجاز[b] المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته بمقتضى ما توجبه الشريعة الطاهرة والسياسة الظاهرة .

a. فليتّق : فليبق N.   b. وليجاز dep. دعوة : marg. A.

الباب الثاني
في صفة الوزراء

وليعلم أنّ وزيره هو عقله الّذي يستمدّ منه ونوره الّذي يستضيء به فبصلاحه صلاح الدولة وبفساده[a] فسادها فيجب عليه ‖ أن يختاره من البريّة وينتخبه من [11b] الرعيّة ويختبر عقله ويعتبر دينه ونقله فإن وجد له طمعًا في مال الرعيّة وميلًا إلى إصلاح حاله بفساد أحوالهم وأنّه يسيء التدبير في حقّ نفسه ومن يلوذ به فلا يركن إليه ولا يعتمد عليه فإنّه قد عجز عن سياسة نفسه فكيف يسوس غيره فإنّ من بدأ ‖ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس. [12a]

ويجب أن يكون الوزير عنده تيقّظ ودين وورع وعفّة ورزانة وحلم[b] ورأي أصيل وإنّ الرأي لا يصحّ إلّا بثلاثة أشياء دربة بالأمور وبصيرة بالسياسة وفكرة في العواقب .

ويستحبّ أن يكون الوزير ناصحًا مشفقًا ومؤمنًا ‖ مؤتمنًا ومن الله خائفًا فإذا [12b] كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ويستمع قوله ولا يخالف أمره .

الباب الثالث
في صفة الحجّاب

ويجب على الملك أن ينظر إلى أصحابه وخواصّه ومقدّمي دولته فيختار أغزرهم عقلًا وأشدّهم دينًا وأوفاهم ورعًا وأعظمهم من الله خوفًا ‖ وأصوبهم رأيًا وأرحمهم [13a] قلبًا وأصدقهم لهجةً وأزكاهم نفسًا فيجعلهم حجّابًا له ليكشفوا إليه أحوال الرعيّة وأمور الناس ومظالم العباد . ولا يجعل زمام الأمور بأيديهم ولا[c] يركن بالكليّة إليهم

---

a. وبفساده : om. A.   b. حلم : حكم N.   c. لا : om. EN.

ويعتمد في جميع أموره عليهم فربّما داخلهم الطمع فيه فينقلون إليه ما
[13b] يريدون ‖ ويكتمون عنه ما يختارون وهذا يؤدّي إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعيّة بل يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته ويتولّى أمور الرعيّة حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئًا منها .

[14a] ولا يمكّن أحدًا من خواصّه وأرباب دولته من أن يحلّ ‖ حلاًّ أو يعقد عقدًا أو يرفع ظلامةً إلّا بأمره فإنّهم إن فعلوا ذلك بغير أمره داخلهم الطمع في الملك واستعجزوه واستقلّوه وتعرّفوا بالحلّ والربط والقبض والبسط فتكاتبهم الملوك وأصحاب الأطراف ويستعينون بهم عليه ويبقى كواحد منهم وينطوي عنه أكثر أحوال ‖
[14b] الرعيّة وأمور الناس وهذا يؤدّي إلى ذهاب ملكه وقلع بيته وفساد دولته وإسقاط حرمته بل يلزم معهم ناموس السلطانة وهيبة الملك ولا يطمعهم فيه ولا يؤنسهم منه لتلزمهم الهيبة ويستعبدهم الخوف ويستخدمهم الطمع فهم بين خوف ورجاء
[15a] لو وُزنا ‖ لاعتدلا .

الباب الرابع
في أمر الولاة

ولا يهمل أمر من يولّيه ولايةً أو يقطعه إقطاعًا أو يقلّده أمرًا بل يسأل عن سيرته ويفحّص عن حاله وسريرته فإن كان عادلًا أكرمه ورفعه وإن كان ظالمًا أهانه وعزله فإنّه لا صلاح لرعيّةٍ واليها فاسد .

[15b] ولا تكون الولاية أكبر من ‖ الوالي فتقهره فإنّ الوالي إذا ولي ولايةً هي أكبر منه يضيع فيها ويبقى حائرًا كالفارس الّذي بيده رمح لا يقدر على نقله والعمل به فيقهره وإذا كان قادرًا عليه تصرّف فيه كيف شاء . وقيل سُئل بعض ملوك بني
[16a] أميّة «ما كان سبب زوال ملككم؟» فقال : «استعنّا بصغار ‖ العمّال على أكابر الأعمال فآل أمرنا إلى ما آل» .

وليحذر من استدامة الوالي في الثغور وأطراف البلاد فإنّ ذلك يؤدّي[a] الرعيّة
أنّه مستبدّ بالأُمور وأنّه غير مأخوذ بجرائمهم وليس على يده يد فيصيرون له تبعًا في جميع
مقاصده فيتمكّن منهم كيف شاء ويتصرّف في الأموال والدماء ‖ ويصعب عزله [16b]
وربّما كاتب أصحاب الأطراف والمجاورين لولايته فأُفسد حال الملك وخالف عليه
رعيّته فتضطرب عليه البلاد وتضيع الأموال وينبثق عليه خَرْق يعجز عن رتقه[b]
وهذا باب عظيم فليحذر غائلة ذلك اللّهمّ إلّا أن كان واثقًا بصاحبه آمنًا ممّا ذكرناه
معتمدًا ‖ على دينه وعقله . [17a]

الباب الخامس
في أمر القضاة

ولا يهمل أمر القضاة والعدلة وأصحاب المناصب لأنّ بأيديهم أزمّة الأُمور
وصلاح الرعيّة ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال والفروج وأُمور الدين
والدنيا بل يمتحنهم في مجلسه ويسألهم عن أُمور دينهم ‖ ودنياهم وليجعل عليهم [17b]
عينًا ورقيبًا ليعلم من فيهم يخاف الله تـعـ ويتّبع الحقّ ولا يقبل الرشا فإنْ
أهمل أمرهم فسد حاله .

الباب السادس
في أمور العمّال وأرباب الديوان

ولا يهمل أمر العمّال وأصحاب الحساب والديوان فيهم[c] صلاح البلاد وفسادها
وعمارتها وخرابها ‖ بل يطالبهم بالعمل كلّ هنيهة ولا ينساهم فينسبوه إلى قلّة الرأي [18a]

---

a. يؤدي : يؤذن E. b. رتقه : رقمه N. c. فيهم : فبهم E.

والبله وتتعاقب السنون بعضها على بعض فيضيع العمل ويعدم المال ويصعب استخراج الحساب ويطمع العمّال في الدولة وإن دخل عليه الخلل من هذا الباب أضعفه [18b] وأتلفه ولا يولّي عملًا لعامل يقلّ عنه فيقهره العمل كما ذكرنا ‖ في أمر الولاة .

الباب السابع
في من يجالس السلطان

ويجب على السلطان أن ينزّه مجلسه من أهل الفساد والأشرار فإنّ الطباع ينفعل[a] بعضها لبعض وهو لا يعلم ومن رآه يكثر التقرّب إليه في وقت الغضب [19a] فليحذره فإنّه أحمق فإنّ السلطان في وقت الغضب واضطراب الأمور عليه ‖ كالبحر الّذي لا يكاد يسلم راكبه في وقت سكونه فكيف إذا هاجت به الرياح واضطربت به الأمواج .

الباب الثامن
في كشف بواطن أرباب الدولة

وإذا أراد الملك اختيار عقل وزرائه وحجّابه وأرباب دولته ونوّابه فليخل [19b] بالواحد منهم منفردًا ويزده ‖ تقرّبًا ويوسعه بسطًا فإن انبسط على قدر مكانه فليعلم أنّه جاهل وإن كان انبساطه على قدر مكانة الملك ومنزلته من السلطنة فليحتفظ[b] به وليفعل ذلك بمن يريد امتحانه مرارًا عدّةً فإنّ هذه الحالة لا تظهر من أوّل [20a] وهلة فإنّ هيبة الملك له ماسكة وسطوة السلطنة له قابضة ‖ والعاقل من إذا زاده الملك تقرّبًا زاده إجلالًا وتعظيمًا فإنّ الفضيلة العظمى معرفة الإنسان نفسه .

---

a. ينفعل : ينتقل A.

b. فليحتفظ : فليحفظ N.

الباب التاسع
في المشورة

ويجب على السلطان إذ أدهمه أمر أو قصده عدوّ أو نزلت به شدّة أو ناله مكروه أو حلّت به جائحة أن يشاور أصحاب الآراء وأهل التجارب ‖ من خواصّه [20b] وحاشيته وأرباب مملكته ولا يهمل أمر المشورة فمن شاور الرجال شاركها[a] في عقولها ومن استبدّ برأيه هلك ولا يحتقر بصورة ذميمة صاحبها ذو مكر ورأي وعقل وخديعة . فكم من ذميم الخلقة[b] عظيم العقل ولا يغترّ بصواب الجاهل فإنّه كزلّة العالم ‖ وليطل الجلوس في مجالس المشورة وليُكثر من الحديث والمحاورة فإنّ ذلك [21a] يُبدي ما في أنفس أصحابه وربّما جرى على فَلَتات ألسنتهم ما تكنّه ضمائرهم وتخفيه سرائرهم وتجنّه صدورهم فيستدلّ بقرائن أحوالهم على أفعالهم ويعلم من الّذي يركن إليه ومن الّذي لا يعتمد ‖ عليه . [21b]

وليحذر اختلاف الآراء فإنّ ذلك يُنتج عدم النظام ويكشف ما كان مستورًا وليحذر من الصديق الماكر والعدوّ القادر ويستعمل في جميع أموره الجدّ والاجتهاد فإنّ به ثبات الملك وعليه بالحزم فيه يبلغ المقاصد وليكن أبدًا متيقّظًا فإنّ علل الشرّ كثيرة جمّة ‖ وليعلم أنّ الكلام خادم الرأي والرأي يُريه عاقبة الأمور في [22a] مباديها والمشورة ترس مانع والحزم حصن حصين فليستشر قبل أن يفعل وليتفكّر قبل أن يعمل وليعلم أنّ الطيش هو العمل بأوّل واقع والحزم هو العمل بعد التدبّر فإنّ الجاهل إذا أرَتْه نفسه شيئًا بادر إليه ولم يفكّر ‖ في عاقبته والحازم العاقل [22b] إذا أرَتْه نفسه شيئًا أفكر فيه ولم يقدم عليه إلّا بعد الامتحان العظيم ولو كان أيسر شيء وذلك لفائدتَيْن إحداهما حفظ نفسه من الزلل والخلل والاعتياد بالحركات الفاسدة والأُخرى استيلاء فضيلة طبعت[c] على الصواب ‖ وعصيان التخيّل [23a] ومحبّة الخير وأصالة[d] الرأي واتّباع العدل ومخالفة الهوى .

---

a. شاركه : شاركها mss. b. الخلق : الخلقة E. c. طبعه : طبعت EN. d. إصابة : أصالة N.

الباب العاشر
في صفة الرسول الذي يرسله

وليحذر أن يرسل رسولًا إلّا بعد امتحانه واختبار أسراره وإعلانه وليعتبر دينه [23b] وليختبر عقله فإن وجد له ميلًا إلى الدنيا وطمعًا في جمع المال ‖ فلا يأمنه على سرّه ولا يعتمد عليه في أمره ولا يكون الرسول ممّن يخاف السلطان فإنّه إن خاف شرّه أفسد أمره بل يكون ممّن يخاف الله تسع ويرجو الآخرة ولا يركن إلى الدنيا ويتّبع الحقّ ويعمل بالشرع ويعدل عن الباطل ويحذر ملامة الهوى [24a] ويميل إلى العدل ‖ ويستمدّ من العقل ولا يكون له طمع في الزيادة على ما هو عليه من الرتبة وشرف المنزلة فذلك الّذي به ينتفع وبكلامه يرتدع فإذا كملت فيه هذه الخصال فليأمنه على سرّه فهو الّذي يُطلَب وفي مثله يُرغَب .

وليرسل معه رقيبًا وليجعل عليه وكيلًا ولا يكن الرقيب ممّن يحسده ولا يطمع في ‖ [24b] منصبه فربّما حمله الحسد والطمع على أن ينبزه بما ليس فيه ويتقوّل عليه ويؤذيه . وليحذر أن يرسل رسولًا إلى صديقه أو عدوّه مرارًا متوالية فربّما حصل بين الرسول والمرسل إليه مؤانسة وصداقة فيصير بطانةً لعدوّه عنده فيضرّه من حيث [25a] لا يشعر ويأخذه من مأمنه بل يجعل ‖ له في كلّ رسالة رسولًا يثق به ويعتمد عليه ويستند إليه إلّا أن وثق من صاحبه ثقةً لا يداخلها ريب ولا يمازجها عيب فيقيمه مقام نفسه في مصالح دولته وبقاء مملكته وثبات سلطانه .

الباب الحادي عشر
في صفة الرسول الذي يأتيه

[25b] وليعلم ‖ أنّ الرسول الّذي يأتيه من عدوّه أو صديقه إنّما هو بعضه لا بل كلّه وإنّما هو رأيه لا بل عقله فبه يستدلّ على عقل صاحبه وقوّته وعجزه وجوره

وإقدامه فإذا أراد امتحانه وكشفه والاطّلاع على سرّه واظهار ما يحبّه واختبار عقله فليستشره فإنّه يقف من مشورته على خيره وشرّه وعدله وجوره ‖ وليحسن إليه ويقبل [26 a] عليه وليطل الجلوس معه وليكثر سؤاله عن الأشياء وليسأله عن حال صاحبه ودخل بلاده وليحرّكه باليسير من تغليظ القول فإنّ ذلك يُبدي ما في نفسه ويظهر ما يخفيه ويسأله عن معيشته وإقطاعه وما يحصل له من الفائدة فأيّ شيء ذكره فليستقلّه في حقّه ويستحقره له وليُظهر ‖ له أنّه أكثر من ذلك وأنّه ضائع عند [26 b] صاحبه وأنّه يجهل قدره ولا يعرف منزلته ليُطمعه في خدمته ويرغّبه في صحبته وليُظهر له أنّ ذلك لا لحاجة إليه بل لمحبّة له ورغبة في عقله وطمع في دينه وشفقة عليه فإنْ انخدع له فقد تمكّن من مرسله وليُظهر له البأس والنجدة والمنعة والشدّة فإنّه لا بدّ ‖ وأن يشرح له أحوال صاحبه وأموره وما في نفسه وترتيب بلاده [27 a] وأمور رعيّته وأحوال جنده فليقف على ما يرومه ويترك ما لا حاجة إليه وإنّ ذلك يؤدّي إلى فساد حال صاحبه وإدخال الخلل في ملكه .

وليحذر من الرسول الّذي لا دين فيه ولا أصل له ولا ثبات عنده فقلّ ما تزول دولة ‖ أو يذهب ملك أو يختلف الولاة بغير غائلة الرسل الخونة فإنّهم [27 b] يحرّفون الكلام ويميلون ميل المنعم عليهم والمحسن إليهم فيخربون البيوت ويقلعون الآثار ويثيرون الفتن ويلقون العداوة طمعًا في سحت الدنيا فليحذرهم ولا يأمنهم[a] .

الباب الثاني عشر

في حال الجواسيس | وأصحاب الأخبار [28 a]

ويجب على السلطان أن يكون له جواسيس قد عرف منهم الثقة والدين والأمانة مقتنعين بما يفيض عليهم من إنعامه ويصل إليهم من إحسانه ولا يحدّثون أنفسهم بطلب المناصب وحرص المكاسب فينشرهم في البلاد ويرسلهم على العباد شرقًا وغربًا

---

a. والعهد له add. N.

[28b] وقربًا ليطالعوه بالأخبار من جميع ‖ الأمصار لئلّا ينكتم عنه حال ولا ينطوي عنه مقال وليضمّ إلى ما يوردونه عليه ويرسلونه إليه التماس الأخبار من المسافرين والتجّار وذلك لئلّا يتمّ عليه زلل ولا يداخل الملك خلل ويسأل من الوارد والصادر والبادي والحاضر
[29a] وليكتم أمره ويتجسّس ويخف نفسه ويتجسّس[a] لتشمل الناس ‖ هيبته ويخافوا سطوته ويحذروا شرّه ولا يأمنوا مكره[b] .

الباب الثالث عشر

في جمع المال والذخائر وآلة الحرب واستمالة قلوب الرعيّة والرجال الحربيّة

ويستحبّ للسلطان جمع المال من أبوابه وجهاته وكثرة الذخائر فإنّ المال
[29b] مع الملوك كالشمس في ‖ العالم فإن كثر قوي صاحبه وإن قلّ أضعفه .

ويجب على السلطان أن يستميل قلوب الناس بالإحسان إليهم والإنعام عليهم على قدر أحوالهم وحسب منازلهم فإنّ قلوب الناس كالطيور الطائرة في عالم الجوّ الّتي لا يمكن اقتناصها إلّا بنصب الحبائل والشباك وبذر الحبّ والشراك فإذا ‖
[30a] وقعت وتورّطت لا يؤمن انفلاتها وكذلك قلوب الناس كالطيور الطائرة لا تستمال إلّا بالإحسان إليها وإدخال السرور عليها وهي مع ذلك سريعة النفور . وليعلم أنّ البخل في الملوك يؤدّي إلى كثرة أراجيف العامّة عليهم فليحذره وإن لم يكن الكرم طبعه فليتكلّفه لحفظ بيته وثبات ملكه . ‖

[30b] ويجب على السلطان أن ينظر في حال الرعيّة والرجال النقديّة وإيصال مستحقّهم من ارزاقهم ولا يماطلهم فيضعفوا ويوغر قلوبهم عليه فيخذلوه عند الحاجة إليهم ولا يهمل أمر الصنّاع والمقدّمين كالمعماريّة والمنجنيقيّة والجرخيّة والزرّاقين والترّاسة

---

a. ويتجسّس : om. N.   b. مكره : والحمد لله وحده add. N.

والنقّابين . ويجب ‖ على السلطان أن يتفقّد خزائن السلاح وما فيها من السيوف [31a]
والرماح والكبورة والزرد والتراس والعدد والجنويّات والجواشن والجفتيّات وجياد
الطوارق والحراب والقسيّ وأوتارها والجروخ والزيارات والنبل والحسك وآلة النقوب[a]
والكلاليب للحروب وأخشاب المنجنيقات ‖ والعرادات وحبال القنّب وكلّما يطلب [31b]
من آلة الحرب وكثرة الحجارة الكبار والكفّيات[b] الصغار والحلق والمسامير والزفت
والقار والكلس وجلود الجواميس والجمال والبقر والأوعال والنفط وآلتـه والقدور
وحوائجها .

وليعتبر[c] الأهرآء وما فيها من الحبوب ‖ كالحنطة والشعير والعدس والجلبان [32a]
وبيوت الأتبان ويعتبر المخازن وما فيها من الملح والأسمان والزيوت والأدهان وكثرة
الشحوم والنمكسود من اللحوم والكبود المملحة والأطراف المشرّحة وربّما قال
بعض الجهّال : «وما الحاجة إلى ما قال وذكر وسطّر وكتب وأكثر؟[d] » فقد رأينا ‖
مَن كان حصنهم منيعًا قويًّا وقتالهم شديدًا فلمّا أعوزهم الملح تركوه وخرجوا منه [32b]
أدلّةً وسلّموه وذلك حصن كوكب قريب طبريّة .

الباب الرابع عشر
في لقاء العدوّ وصفة المنازل ومكائد الحرب

وإذا بلغه أنّ العدوّ الكافر يقصده ويعلم أنّه قادر على لقائه فليتجرّد للقائه
وليبادر[e] ‖ بالخروج من بلده بجيشه وحشده ولتتقدّمه الجواسيس الثقاة ليكشفوا له [33a]
الأخبار ويختاروا له المنازل ليعلم إذا سار أين ينزل ولئلّا يبقى حائرًا ولئلّا ينزل
اتّفاقًا فربّما نزل بأرض قليلة الماء والعلف فيحيط به العدوّ فيهلك . وليسبق المياه
العذبة ولينزل على المواضع المرتفعة والأراضي السهلة ‖ القليلة المدر وليستقبل الشمال [33b]

a. النقوب : النقوت N, النقب A.
b. sic.
c. وليعتبر : ويعتبروا AN.
d. إلى ما : وأكثر dep. قال وذكر وكتب وسطر وأكثر ll A
e. فليتجرّد للقائه وليبادر : فليبادر A.

إن أمكنه ذلك ولا ينزل في المواضع[a] المنخفضة خوفًا من السيل ودواهي الليل ولا يباعد بين الخيم فتملكهم الأرض فربّما كبس[b] عدوّه طائفةً من عسكره فنال منهم مراده ويداخل باقي العسكر الخوف ويملكهم الفزع ولا يقرّب الخيم بعضها
[34a] من بعض فيضيق عليهم ‖ المنزلة ولا ينابوا الراحة وربّما رمى فيهم بالنار فيداخلهم الرعب ويملكهم الجزع بل ينزلوا كثُلُثَيْ دائرة البركار والحرس من حولهم واليزك مقارب العدوّ والكرريّة[c] تجاهه والجواسيس معه .

ولا يمكّنهم من أن يتّسعوا في الأرض ويمتازوا بالعلوفة وليكمن لهم المكائد وينصب لهم
[34b] المصائد .‖ وليزوّر الكتب على ألسنة أمرائهم وأكابرهم ومقدّميهم وبطارقتهم وقسوسهم ويظهرها في عسكره لتنطق بها الألسنة ويتّسع بها الكلام فلا بدّ وأن يبلغ العدوّ ذلك ويوغر قلبه من ناحية أصحابه وجنده ويخاف أن يكون ذلك حقًّا فلا يطمئنّ
[35a] إليهم ولا يعتمد عليهم وإن لم يستصحّ ذلك ‖ فلا بدّ وأن يبقي في القلوب أثر وإن فعل عدوّه به ذلك فإيّاه أن ينقبض من ناحية أصحابه وجنده ولا يظهر لهم إلّا الميل إليهم والإقبال عليهم وليستعمل الخوف مع الطمأنينة فإنّ وقوفه على قدم الخوف خير من أمنه حتّى يلقي الخوف.

الباب الخامس عشر
في كتمان السرّ

[35b] ويجب على السلطان أن يستعين على أموره بالكتمان وإذا عزم[d] على أمر فلا يذكره ولا يكشفه ويظهره إلّا فعلًا فربّما نُقل عنه إلى عدوّه فأخذ حذره وإيّاه أن يظهر ما في نفسه قولًا فإنّ العاقل يعتمد على فعله والجاهل على قوله ولقد
[36a] صدق الحكيم في قوله : «لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل ‖ في فيه» وإيّاه أن

---

a. المواضع : الأماكن A.
b. كبس : ليس AKN.
c. الكرريّة : الكرريّة E, الكوريّة K.
d. عزم : om. A.

يكذّب خبرًا وإن لا يصدّق أثرًا فإنّه يجب على السلطان أن يسمع جميع ما يُنقل إليه ويرد عليه بل لا يعمل به إلّا بعد الكشف عن صحّته والبحث عن حقيقته .

الباب السادس عشر
في إنفاذ السريّة

وليحذر أن يُنفِذ سريّةً مع غير خبير ولا عالم بالحرب وليكن المقدّم عليها كالقانص ‖ الحاذق الّذي إن وجد طمعًا له في صيد أهدف إليه وطرح عليه وإلّا [36b]
سار إليه بهيبته ورحل بحرمته وليكن المقدّم عليها ذا رأيٍ وعقل ومكر وخديعة يشاور أصحابه ومقدّمي عسكره ويرسل الطلائع ويكشف الأخبار ويختار المنازل ويسوس جنده ويدبّر عسكره ويستمع قوله ولا ‖ يخالف أمره ويرحل كجسد واحد [37a]
وينزل كبنيان مرصوص. فإنّي سريتُ مع السريّة المصريّة والنجدة الناصريّة في شهور سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولم يكن لهم رأي يجمعهم ولا مقدّم يمنعهم ولا زعيم يردعهم إن نزلوا فكإبل مشمّرة وإن رحلوا فكحمر مستنفرة فهم كالأغنام السائبة ‖ أو كالأحلام الكاذبة ولم يزل يسوقهم التقدير وسوء التدبير إلى ذيل [37b]
الجبل وكوكب الصبح أفلّ والنذير أنذر وبالعدوّ أخبر ورايات المشركين ظهرت والسريّة تفرّقت وسرت وجرى ما شاع خبره وذاع ذكره وانكسر السريّة وَهْن عظيم وخطب جسيم .

الباب السابع عشر [38a]
في التيقّظ والاحتراز من العدوّ

و إيّاه أن يهمل أمر الخصم فإنّه إن أهمل أمره قلّ احتراسه منه فربّما يقوى عليه فيقهره فيندم ولا ينفعه الندم بل لا يزال على قدم الخوف وبساط الحذر

ومقام التيقّظ فقد قيل في الأمثال «كن مع عدوّك وخصمك أسمع من فرس
[38b] وأبصر ‖ من عقاب وأحذر من عقعق وأوثب من فهد وأشدّ إقدامًا من أسد وأحقد
من جمل وأصبر من ضبّ وأسخى من لافظة»[a] .

الباب الثامن عشر
في[b] اتّباع الحقّ في المقاصد

وإذا عرف من نفسه العدل وأنّها لا تتكلّف اتّباع الحقّ وتستمدّ من الصدق
[39a] ولا تتّبع الهوى ولا تميل إلى الباطل ‖ فلينظر الأمر الّذي يرومه والحال الّذي يطلبه
فإن وجد ميلها إليه وهي بذلك مسرورة فليعلم أنّه منصور وعدوّه مقهور وإن
وجد منها الانقباض وفرط الإعراض فليحذره وليجتنبه فقد قال الإسكندر :
[39b] «إنّي لم أحضر حربًا إلّا وعلمت من وزن نفسي وائتلاف أعدادها ‖ أهازم أنا
أم مهزوم» وفي هذا كلام دقيق ينافي عرض الكتاب في هذا الباب[c] إذ مذهبنا
ينافيه ولا يضاهيه[d] .

الباب التاسع عشر
في تحريض الرجال على الحرب

ويستحبّ للملك أن يكثر في مجلسه من قراءة كتب الحروب وغزوات الفرس
[40a] ووقائع العرب وفتوح الشأم ‖ وسيرة النبيّ عم ومقاتل الفرسان وحيل القتال وذكر
من تقدّم بالرجلة وعُرف بالشدّة ووُصف بالشجاعة وساد قومه بالبأس وشرف بالنجدة
ومن تقدّم بإقدامه وملك بسيفه وأذلّ[e] بعزمه وشاع بالشجاعة خبره وذاع بالرجلة ذكره

---

a. لافطه : لافظة AKN.
b. و : في AN.
c. الكتاب : الباب EK.
d. والحمد لله وحده : يضاهيه add. N.
e. أدلّ : أذلّ EKN.

وتحدّثت بذكره النسوان وسارت بسيرته ‖ الركبان وغنّت به الرفاق وطنّت به الآفاق [40b]
وخافته النفوس وهابته الأئمّة والقسوس كخليفة رسول الله صلعم أبي بكر الصدّيق
رضّه وسراياه وأمير المؤمنين عمر بن الخطّاب وفتوحاته وأمير المؤمنين عثمان بن عفّان
وما فُتح في خلافته وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ‖ ووقائعه وذكر خالد بن الوليد [41a]
وأبي عبيدة والمقداد والصحابة الأجواد رضّهم وأرضاهم وما جرى لأبطال المسلمين
وعساكر الموحّدين من الغزوات والوقائع المشهورات وحديث عمرو بن معدي وعنترة
العبسيّ وعمرو بن ودّ العامريّ وذكر من ذلّ في الحرب ‖ وجبن عند مواقع الطعن [41b]
والضرب وضعفت قواه وارتعدت يداه واكتسب العار وبقي عليه الشنار . فإنّ ذلك
يحملهم على لقاء العدوّ ويشجّع جبانهم ويقوّي ضعيفهم ويكسبهم النخوة .

الباب العشرون
في ضرب المصاف ومكائد الحرب

و إذا أراد لقاء العدوّ وضرب المصافّ ‖ فليجتهد[a] أن تكون الشمس في عين [42a]
العدوّ والريح عليه فإن فعل العدوّ به ذلك ولا يمكنه إزالته من موضعه ولا قلعه
عن منصبه فليزحف بالعسكر عرضًا ليكون الأمر له وعليه وليخوّف أصحابه من الحيلة
ويحذّرهم من المكيدة لئلّا يشتغلوا بالنهب ويغرّهم الكسب فربّما رجع العدوّ إليهم
أو خرج ‖ الكمين عليهم فيملكهم ويأسرهم ويهلكهم وليرعب قلب العدوّ بنشر [42b]
الرايات ودقّ الكوسات ونعير البوقات وأصوات الطبول والنقّارات ولا يرعه كثرة
الجيش والرجال المجمّعة والسواد الّذي لا ينفع فإنّهم إلى الهزيمة أقرب وقلّ ما
نصر جيش هذه صفته . وليرتّب بنفسه الأطلاب ولا يعتمد على غيره ‖ وليجعل [43a]
توكّله على الله تسع أمامه وليعبّ القلب ويكثر رجاله وينتخب أبطاله فربّما كان

---

a. فليجتهد : فليجتهد في add. N.

هو المقصود وليجعل في الميمنة من يعتمد عليهم ويستند إليهم وكذلك الميسرة وليرتّب الجانبَيْن ويقوّم الجناحَيْن وليُبق من عسكره بقيّة من الرجال وعصبة
[43b] من الأبطال ممّن قد شاهدوا حيل الحرب ‖ وذاقوا حلاوة الطعن والضرب.

ولينظر الحملة من ناحية العدوّ إلى أيّ الجهات تكون وأيّ الفرق يقصدون فإن كانت الحملة من الميمنة فليضاعف الميسرة وإن كانت من الميسرة فليقوّ [a] الميمنة وليردف إلى الجهة المقصودة والفرقة المطلوبة من الرجال المذكورة والأبطال
[44a] المشهورة ‖ أقوامًا معروفين وبالرجلة موصوفين وليحذروا كثرة الصياح والغلبة والصراخ فإنّ ذلك يؤدّي إلى الفشل والضجر والملل والعجز والخور وليلزموا هيبة الحرب وناموس الشجاعة والثبات عند الصدمة الأولى فمنها يُعرف المنصور ويتبيّن المقهور
[44b] وليتقدّم على الخيالة الرجالة والرماة والنبّالة ‖ والزرّاقون والحرّابون[b] ولينظر إلى مقدّمي عسكر عدوّه فليجعل تجاهه من الرجال الجياد والفرسان الأجواد كلّ كفوْ لكفوئه وقرن لقرنه وليعلم أنّ اعتماد الخلق عليهم ونظرهم إليهم فإن كسروا فالباقي لا يدفع بل يضرّ ولا ينفع ولينظر الملك إلى عسكر عدوّه عند الزحف إليه ‖
[45a] والإقدام عليه فأيّ جهة رآها مختلّة وناحية معتلّة فليضع الحملة عليها ويرسل الرجال إليها فإذا رجفت وارتجّت وخافت وانزعجت فليبادروها الصدمة ويدحضوها باللطمة فإذا ضعفت ومالت وانهزمت فليطلب المقدّمين والفيئة المقاتلين ويتبعهم
[45b] بالمنهزمين هذا وكمينه ‖ من وراء ظهره يشاهد جليّة أمره ولا يغرّر بنفسه فإنّه رأس المال ومن حفظ رأس المال ما خسر. وليصحب معه جماعة من أهل البأس والنجدة والقوّة والشدّة وليجنب معه جياد الخيل العربيّة والأمهرة الكلابيّة فإذا
[46a] كسر عدوّه وأسر رجاله وقتل أبطاله فإن طمع في ولايته ‖ وأخذ مملكته فليبادر بالرحيل إليها والنزول عليها ولا يمهلهم إلى أن يتيقّظوا ويأخذوا حذرهم ويحترزوا[c] بل يُدهمهم بجيشه ويكبسهم بعسكره فإنّه ربّما ملك ديارهم وقلع آثارهم. وليحضر المأسورين من الأمراء المذكورين ولينزل بهم النكال ويوثقهم بالأغلال ويفتح بهم

b. فليقوّ : فليقوي mss.   a. الحرّابة : الحرّابون EN.   b. ويحترزوا : ويحترسوا EKN.

ما يتعسّر عليه من القلاع ‖ ويتعذّر من البقاع ولا يُطلقهم فيندم ومن شرّهم لا [46b]
يسلّم إلّا أن يكونوا مسلمين وبالله مؤمنين فليستخلفهم لنفسه ويُنعم عليهم ويُحسن إليهم ويُطلقهم وبإنعامه بملكهم فيكونوا عونًا له على العباد وما يبقى من البلاد وينتشر له بذلك ذكرٌ دائرٌ على الألسنة سائرٌ[c] في الأمكنة.

الباب الحادي والعشرون ‖

في قتال الحصون وحصارها [47a]

ومكائد ذلك والحيلة فيه

وليحذر أن ينزل على حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه فيقهره فإنّ رحيله عن الموضع بعد نزوله عليه ومباشرته له بالحرب عار وهزيمة ولا ينزل على حصن منيع ولا ثغر حصين إلّا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ومقدّميه وقوّاده
بجميع ‖ ما يقدر عليه ويصل إليه ويخدع الأمراء والأكابر بما يرومونه ويضمّن لهم [47b]
ما يطلبونه وذلك قبل الحركة إليهم والنزول عليهم ولعلّ يجد فرصة ينتهزها أو حيلة يعملها أو يبلغه من ثقاة الجواسيس وأصحاب النواميس أنّ الحصن قليل
الذخائر أو خالٍ من الرجال أو قد قلّ به القوت أو ليس له ماء ‖ فليرحل إليه [48a]
وينزل عليه ويغتنم الفرصة ليأمن الغصّة وليسارع بالنزول عليه والزحف إليه وليبهت أهله بشدّة القتال ومرارة الزحف ولا يضيع الحزم فيه يتمّ الظفر وتُنال المطالب وليستصغر المشقّة إذا أدّت إلى منفعة ولا يملّ ويضجر فإنّ ذلك يوهن جانبه ويضعف
قوّته. وليعلم أنّ أخذه ‖ لحصن منيع وثغر حصين وهتكه إيّاه بشدّة وطأته وإخراق [48b]
ناموسه بعظيم سطوته وفتحه إيّاه عنوةً أو صلحًا يؤدّي إلى اضطراب البلاد من الخشية وعظيم السطوة وشدّة البأس. ولا يتعب بعد ذلك على حصن ينزل عليه أو

---

c. وينتشر له بذلك ذكر دائر ... سائر : وينتشر له بذلك ذكرًا دائرًا ... سائرًا AK.

ثغر يقصده بل ربّما كاتبه أهله وراسله أصحابه ‖ وطلبوا تسليمه إليه خوفًا منه [49a]
وطمعًا في ملكه وخشيةً من سلطانه .

وإذا قصد بلدًا بملكه وفي نفسه أن لا يتركه فليؤمن الفلّاحين والرعيّة المستضعفين
وليرسل إليهم من يحميهم ومن شرّ العسكر يكفيهم وذلك لفائدتَيْن إحداهما أنّهم
يجلبون العلوفة ويميرون العسكر بالنَّعَمة وما يحتاج إليه ‖ الناس من المؤنة والأُخرى [49b]
أنّ أهل الحصن المحصور والبلد المقهور يبلغهم ذلك فيعلمون أنّه مالك لا مغيّر
فيفشلون ويقصرون وتفتر هممهم وتختلف آراءهم وليكاتب أهل الحصن ويراسل
أهله ومقدّميه ويضمن لهم ما يطلبونه وليظهر لهم أنّ بعضهم يكاتبونه ويريدونه ولا
يعيّن أحدًا منهم ‖ وليترك الأمر مكتومًا والحال[a] مغمومًا فيظنّ كلّ واحد منهم في [50a]
صاحبه ويطلب التقدّم[b] لنفسه ليأْخذ بذلك عند الملك يدًا ويجعله له سندًا وليعدهم
بالزيادة على إقطاعهم وبلادهم وضياعهم ليبلغ مقصوده وينال مطلوبه باليسير من
التعب والقليل من النصب ولا يهمل مكاتبة القسوس وأصحاب المناصب ‖
وأتباعهم ومن يجري مجراهم فإنّ عندهم من قلّة الديانة واستعمال الغدر والخيانة [50b]
والرغبة في الدنيا والزهد في الآخرة والتهوّر والطيش والخفّة والحرص على حطام
الدنيا والمثابرة على الجاه والتقدّم عند الملوك والأكابر واتّباع الرخص في فتائهم
أنفسهم ما يبلغ بهم جميع مقاصده ‖ الّتي يرومها وليحذر الرهبان وأصحاب الصوامع [51a]
فإنّه لا يبلغ بهم مراده ولا يدرك مقصوده فإنّ عندهم من الشدّة في الدين والمسكة
وإهمال الدنيا ما يردعهم على الخوض في أُمور العالم وأحوالهم وقد جرّبتُ هؤلاء
وهؤلاء تجربةً لا أشكّ فيها ولا أعرف ما ينافيها .

وليتزل على الأماكن ‖ العالية المشرفة على الحصن وليحبس عنه الميرة ويقطع [51b]
المياه إن قدر عليها وليتفقّد دائر الحصن وليسترق منه موضعًا ويستضعف منه مكانًا
ولا يشعر به أحد ولا يعلمه جاسوس وليتقدّم إلى بعض الأُمراء المشهورين والفرسان
المذكورين ممّن قد عُرف بالنجدة ووُصف بالشدّة وليمكّنه ‖ من العدّة والعدد [52a]

---

a. الأمر مكتوما والحال : الأمور مكتومة الحال A.

b. التقدّم : التقد A.

والكبورة والزرد وقوارير النفط وجميع آلة الحرب والزحف والنقب كالسلالم والحبال والمعاول والأمخال والرماح العوالي[a] والطوارق والجنويّات والكلاليب والجفتيّات والكباش والزحافات. ولينزل الأمير المذكور قريبًا من المكان المطلوب ‖ والموضع المقصود وليعرض [52b] أصحابه وعسكره لئلّا يقع تفريط ولا يجري تخليط ولا يمكّن أحدًا من القتال على البقعة المشهورة والرقعة المذكورة ليقلّ احتراسهم منها ويميلوا عنها وليقصد الملك أقوى الأماكن وأصعب المواضع والجنبة القويّة والناحية الحميّة وينصب عليها القتال ويشغلهم بنار ‖ الحرب ويذيقهم مرارة الزحف فلا بدّ وأن يميلوا إلى جهة [53a] القتال وموضع الحرب والنزال ويتركوا باقي الحصن وتملكهم الغفلة ويستولي عليهم الوله وتأخذهم الحيرة وتذهلهم المصيبة فبهذا التدبير ربّما يملك الأمير المذكور الناحية المشار إليها من السور وتدخله النقّابون ‖ وتستولي عليه الرجال وإيّاه في [53b] تلك الساعة من الغفلة وليحذر الفترة فربّما يتيقّظون ومن رقدتهم ينتبهون بل يذيقهم مرارة الزحف وشدّة القتال ليعاينوا الموت ويذهلهم الرعب ويشتدّ بهم الخوف ويعظم بهم الجزع فهم لا شكّ يطلبون الأمان ويستجيرون بالسلطان فإن شاء ‖ أمّنهم وإن شاء ملكهم. [54a]

الباب الثاني والعشرون

في استعمال الحلم بعد القدرة والمثابرة على الذكر الجميل

ويجب على السلطان إذا قارنته السعادة وساعدته العناية وقاده التوفيق أن يستعمل الحلم مع القدرة وأن يرحم ذوي البيوت القديمة والأحوال المستقيمة والأصول الثابتة ‖ والفروع النابتة ومن ذلّ بعد العزّ وافتقر بعد الغنى وقعد به الزمان وهجره [54b]

---

a. العوالي : والعوال E, العوال AKN.

الخلّان ليجتمع الهمم على بقائه ويكثر الدعاء له لتدوم دولته ويثبت ملكه . وليحذر البغي فإنّ له مصرعًا ويجب على الملك أن لا يقصد من هو دونه فإنّ ذلك كمال في حقّ المقصود به ونقصان ‖ في حقّ القاصد وليعرض عنه إمّا إهمالًا لقدره [55a] أو رحمةً عليه فقد قيل إنّ السبع إذا مرّت به أرنبة غمّض عينيه فقيل احتقارًا لها وقيل رحمةً عليها .

الباب الثالث والعشرون

في الحيلة إذا حاصره عدوّه والعمل في ذلك

وإذا قصده عدوّ لا طاقة له به ويعجز عن دفعه وملاقاته فليبادر بإصلاح جنده ‖ واستمالة قلوب أصحابه ومقدّمي عسكره ورعيّته بجميع ما يقدر عليه ويصل [55b] إليه ممّا ذكرناه وحرّرناه أوّلًا ويشاور أصحاب الآراء وأهل التجارب من خواصّه وأرباب دولته . ولينظر[a] على ما تنطوي عليه قلوبهم وتنطق به ألسنتهم فمن وجد فيه إعوجاجًا قوّمه أو زيغًا عدّله أو خورًا شجّعه وليتفقّد[b] ‖ السور والأبراج والمرامي [56a] والطاقات ومواضع الطلّاقات ويعمّر خرابها ويُحكم أبوابها ويسلّمها إلى الأمراء الّذين يعتمد عليهم ويركن إليهم وليستمل قلوب المعماريّة والنقّابين والجرخيّة والزرّاقين والمنجنيقيّة والرجال الجياد وإيّاه أن يُهمل أمرهم وليهدم ما قرب من بلده من العمارة ولينقل حجارته ‖ إلى حصنه فإنّ الحجار أوفى الذخائر للعاجز [56b] والقادر وليقطع الأخشاب والجسورة وجميع ما ينتفع به العدوّ ويذخّر في حصنه وليبادر بطمّ الآبار وخراب المصانع والصهاريج ويلقي فيها الجيف المسمومة والمياه القاتلة والزرانيخ المصعّدة وليلق في منزلة العدوّ الميتة والجيف كالجمال والخيل ‖ والبغال والكلاب والقاذورات وليجعلها على مهبّ الرياح فإنّ ذلك يؤدي إلى الوباء [57a]

---

a. ولينظر : وليلتظر N, وليتفقد EK.

b. وليتفقد : ولينظر E.

والمرض وتغيّر الهواء[a] وإيّاه أن يُهمل أمر خنادق البلاد فهي من أكابر المهمّات والأُمور العظام وليحذر خندقه ويوسّعه ويعمّقه ويحكمه فهو أوفى الحصون للعاجز المحصور .

وليُرسل المرجفين إلى عسكر | عدوّه ليُزعجوا قلوب الجند بالأراجيف على [57b] بلادهم وخراب ضياعهم وموت أهاليهم وهلاك البطارقة وخلف الأساقفة وكثرة الأراجيف المزعجة والأحلام الرديّة فإنّ ذلك يوهن شوكتهم ويشوّش هممهم ويضعف قلوبهم وليرسل أُمراء العسكر ويكاتب مقدّميه بما تقتضيه أحوالهم وتميل إليه || طباعهم لتختلف أقوالهم وتضلّ آراؤهم وليظهر المنعة والقوّة والشدّة وقلّة [58a] الالتفات إلى ناحية العدوّ .

وليُرسل الطلائع وليُنفذ الجواسيس فإذا قرب العدوّ من بلده ولم يبقَ له غير مرحلة واحدة فليكمن الكمناء وليجرّد من عسكره وينتخب من جيشه كلّ فارس مشهور وبطل مذكور وليبادر العسكر عند نزوله | بحملة هائلة وصدمة منكرة [58b] بجميع من معه والكمين يتّبعه وليكثروا من رمي النشّاب وآلة النار وقسيّ الزيار فقلّ ما سلم جيش عند نزوله إذا حلّ به ذلك وإيّاه أن يقتحم هذا الأمر ويرتكب < في > هذا الحال ويترك الأبواب بغير حفظة والسور بغير رجال والبلد بغير زعيم فربّما كان الأمر عليه | فيقصد عدوّه البلد ولا يجدونه مانعاً بل يعتمد الحزم والنظر في [59a] العواقب والوقوف على قدم الخوف فالتجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة .

فإن خاف عدوّ منه فقد تمكّن منه وإن لم يخف فلا بدّ وأن يهوله ذلك وليبادر بحفظ الخندق وحراسة السور وإيّاه أن يقطع جسورة الخندق إلّا | من أمر عظيم لا طاقة له به وليحذر أن يسدّ أبواب السرّ فإنّ ذلك يزيد [59b] العدوّ طمعًا وليفرش الحسك حول المواضع القريبة المأخذ ولا يمكّنهم من نصب منجنيق ولا تقدّم برج ولا زحف كبش إن قدر على ذلك فقلّ ما تمكّن

---

a. الهواء : الهوى mss.

المنجنيق من حصن إلّا أخذه وليحذر النقب فإن نقب عليه فليبادر بخسفه
وإحراق من فيه ولينتظر[a] ليلة مظلمة وساعة مغتّمة من ليالي السرار وليجرّد[b] من [60a]
الخيل الطواسن الصعبة الانقياد الّتي لا ينتفع بها مهما قدر عليه ويُخرجها من
كلّ ناحية وليُخرج معها الرجال ويجرّد لها الأبطال ويشدّ في أذنابها من جلود
الجواميس اليابسة والأوعال المذخّرة ويزجروها بالسياط ‖ ويوجعوها ضربًا ويولوها [60b]
عقوبةً ويساعدوها بالضجيج العالي والأصوات الهائلة والصراخ المزعج إلى أن يُلقوها
في مخيّم العدوّ فإذا شاهدوا العسكر قد اختبط وضجّ واختلط فلتحمل الفرسان
وتبادر الشجعان من كلّ ناحية ومكان وليكثروا من آلة النار والنفط الطيّار فإنّ
له هيبة ‖ ترعب قلب الجبان وتُرهب فؤاد الإنسان. هذا والكمناء خلف التلال وذيول [61a]
الجبال وليصدقوا في الحملة ولينصحوا في العملة فإنّها مكيدة عظيمة وحيلة هائلة
جسيمة لا يسلم منها عسكر ولا بدّ وأن يكسر ولا ينجوا منها جيش إلّا نادرًا فإن
كسر عدوّه فقد نال مراده وبلغ أمله ‖ وإن لم يبلغ المقصود بعد بذل المجهود فلا [61b]
بدّ وأن يوهن شوكة العدوّ ويضعضع جيشه ويفسد حاله فإنّ القلب الضعيف
تستفزّه الحيل وإنّ صورة الشجاعة إذا تحرّكت ولم تظهر تولّد الفزع فتنقطع
الجرأة ويشتدّ الخوف قيل إنّ الإسكندر ذكر هذا.

فإن لم يزعهم ما يرونه من هذه المكيدة وتدبير هذه الحيلة فليلزم حفظ
الحصن وحراسة ‖ السور وترتيب الرماة وعمل الستائر وتفقّد المجانيق. وليحذر [62a]
أن ينفذ إلى عدوّه رسولًا إلّا جوابًا فإن ذلك يؤدّي إلى تعظيم شأنه وقوّة
حصنه وقلّة المبالاة بعدوّه وليستعن عليه بأصحاب الأطراف وعساكر أعدائه
ومجاوري بلاده وليحتّفوا[c] ولايته ويقصدوا ناحيته وأرى أن خدعه بالحيل وردعه
بالمكر خير من الاستعانة ‖ بجند الغير وعساكره فإنّ الّذي يستعين به على عدوّه [62b]
لا بدّ وأن يعلم منه الضعف والعجز فيداخله فيه الطمع فربّما ضرّه في وقت آخر.

---

a. ولينتظر : ولينظر AN.
b. وليجرّد : وليحذر AK.
c. وليحتّفوا : وليخيفوا EN.

الباب الرابع والعشرون
في العمل بالحزم إذا عدم النصر وضاقت حيله

وإيّاه أن يستسلم لعدوّه ولو أشرف على الهلاك وعاين الموت إلّا إن علم منه الوفاء والأمانة والدين فإن فعل | ذلك يندم ولا ينفعه الندم ويزلّ به القدم ويحلّ [63 a] به كما حلّ بفرسان المسلمين وأبطال الموحّدين بمدينة عكّا مع ملوك الإفرنجيّة وقسوس النصرانيّة خذلهم الله تــعـ. وليعلم أنّ الموت مع العزّ شرف وفخر والحياة مع الذلّ عجز وقهر ولله درّ القائل[a] :

وَمَا القَتْلُ بالبِيضِ الرِقَاقِ نَقِيصَةٌ ، إذَا كانَ لا يَخْلو مِنَ العِزّ والفَخْرِ |
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا نَرَى الموتَ سُبَّةً ، إذَا كانَ بَيْنَ البِيضِ والأَسَلِ السُمْرِ [63 b]

وليعلم أنّ الحذر لا يدفع واقع القدر[b]

وَكَمْ يَكْبُو الجَوادُ وَكَمْ حَلِيمٍ ، يَزِلُّ وَكَمْ يَخونُ السَمْعُ وَاعِي

وهذا البيت والسطر الّذي فوقه ذكرناه في كتاب «معيار الزمان في معاشرة الإخوان». وهذه تذكرة نافعة ووصيّة بالغة ينتفع بها الأديب ويرتفع بها الأريب ويستعين بها | السلطان على من ناواه والملك على من عاداه وهذا ما فتح به الله [64 a] فله الحمد على ما أولاه ومنّ به وأعطاه وصلّى الله على سيّدنا النبيّ الأمّيّ وآله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم القيامة ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم[c] وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين .

---

a. mètre *ṭawīl*. b. mètre *wāfir*. c. ولعوذ بالله من التطويل : السطر add. EN.

فهرس الكتاب

المركز الإسلامى للطباعة
٤٣٢ شارع الأهرام - الجيزة
ت : ٦٢٨٣٠٦ - ٦٢٥٠٥٢

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بور سعيد - الظاهر
ت : ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٢٦٢٠

المركز الإسلامي للطباعة
٤٣٢ شارع الأهرام - الجيزة
ت : ٦٢٨٣٠٦ - ٦٢٥٠٥٢